بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

لاشكَّ أن الدرس النقدي عُني – فيما عُني – بدراسة الظواهر الأدبية دراسة فاحصة، مدققة، منظراً لها من ناحية، ومحللاً لبنياتها المتعددة من ناحية أخرى ومن ثمَّ فإن الشعر العربي الحديث حفل بكثير من الظواهر التي التفت إليها الباحثون والدارسون في أرجاء الوطن العربي من المحيط إلى الخليج، وأصبحت المداخل النقدية أكثر اتساعاً لملاحقة الإبداع بصفة عامة، والشعر بخاصة، ومن ثم فقد جاءت هذه الدراسة التي نحن بصددها بعنوان "بناء قصيدة الإبيجراما في الشعر العربي الحديث"؛ لتلقي الضوء على ظاهرة مهمة من الظواهر التي حفل بها الشعر العالمي بعامة والعربي بخاصة.

ويرى المؤلف أن قصيدة الإبيجراما نوع أدبي قائم بذاته؛ له سماته ومعاييره التي يمكن أن نحتكم إليها من خلال النصوص التي قامت الدراسة بطرحها في الشعر العربي الحديث، وقد جاء هذا الاهتمام بالنوع الأدبي وخصوصيته من منطلق أن الشعر العربي أصبح أنواعاً متعددة، مثل الشعر العمودي / التفعيلي / قصيدة النثر، قصيدة الإبيجراما؛ لأن الشعراء الذين كتبوا هذه القصيدة في شعرنا العربي القديم، كانوا لا يقصدون بالطبع الإبيجراما، لكنهم كتبوها في عصور الزهو الأدبي والمجد الحضاري، على حد قول الدكتور طه حسين . وتقتضي طبيعة البحث أن تبدأ من السؤال، وفرض الفروض ورصد التجربة أو الظاهرة رصداً دقيقاً فاحصاً، حيث إن مهمة البحث العلمي هو أن يتتبع الباحثون والدارسون الظواهر الأدبية بالدرس والتحليل مرتبطين بالموضوعية ومبتعدين عن الذاتية والأهواء النفسية، ويمكن للباحث أن يزعم أن الشعر العربي احتفى بقصيدة الإبيجراما، وتجلى هذا الاحتفاء في شعرنا الحديث، بدءًا من النصف الثاني من

القرن العشرين، وظهور ماعُرف بشعر التفعيلة على يد نازك الملائكة والسياب، وصلاح عبد الصبور، وأحمد عبد المعطي حجازي ،وعز الدين إسماعيل، وعبد المنعم عواد يوسف، وحسن فتح الباب، وغيرهم؛ وأضافت الأجيال من بعدهم إنتاجاً شعرياً احتفى بقصيدة الإبيجراما أمثال أدونيس، وأحمد مطر، و أحمد الشهاوي، و عزت الطيري، ومصطفى رجب، وأشرف عبد الفتاح ونصار عبدالله، و يوسف نوفل، و كمال نشأت، و بدر توفيق ... وغيرهم كثيرون . كتبوا هذه القصيدة التي تحتاج إلى قدر كبير من المعاناة والألم والتكثيف اللغوي والبلاغي، حيث إنها تميل إلى الإيجاز في العبارة بصورة كبيرة ، وتعتمد على المفارقة اعتماداً قوياً حيث إن المفارقة هي روح الإبيجراما على حد تعبير كولردج. ومما لا شك فيه أن قصيدة الإبيجراما من القصائد التي تحتاج خصوصية شديدة في كتابتها، وقراءتها؛ لأن هذه القصيدة لا يكتبها إلا الشعراء الكبار ذوي الخبرة والدربة؛ لأنها تحتاج أيضاً إلي قدر كبير من الكفاءة اللغوية على حد قول العلامة تشومسكي، ويري المؤلف أن هذه الدراسة حاولت أن تجيب علي بعض الأسئلة المفترضة، ولا تزعم أنها قد امتلكت الحقيقة كلها، لكنها عنيت بطرح الأسئلة،و تفسيرها؛ للبحث عن إجابات مقنعة.

أولاً :أهمية الدراسة :

أولاً : ترجع أهمية الدراسة إلي أن هذا الفن (الإبيجراما) لم يحتفِ به النقاد في الوطن العربي على الرغم من وجود إنتاج شعري كثير يندرج تحت مسمي الإبيجراما .

ثانياً : التأصيل الفني لقصيدة الإبيجراما في الشعر العربي الحديث .

ثالثاً : غرس المعايير النقدية لهذا النوع الأدبي الجديد .

رابعاً : خصوصية الصورة والبناء اللغوي في الإبيجراما .

ثانياً : الدراسات السابقة :

سبق البحث دراساتٌ جادة، حاولت أن تفتح الطريق أمام الباحثين والدارسين وجاءت في صورة مقدمات مثل، مقدمة كتاب جنة الشوك، للدكتور طه حسين، والمقدمة التي كتبها أستاذنا الدكتور عز الدين إسماعيل لديوانه الإبيجرامي "دمعة للأسي ... دمعة للفرح". ودراسة أستاذنا الدكتور يوسف حسن نوفل عن الإبيجراما في شعر عز الدين إسماعيل، ضمن كتابه العميق "النص الكلي". ودراسة الباحث اليمني محمد ربيع محفوظ بحشوان عن "فن الإبيجرام بين طه حسين و جون دن" (دراسة مقارنة، رسالة ماجستير بمعهد الدراسات العربية في القاهرة). لكن هذه الدراسة الأخيرة لم تشر إلي تطور قصيدة الإبيجراما في الشعر العربي الحديث، لكنها اكتفت بطرح الأفكار المقارنة بين طه حسين وجون دن، وقد أفاد الباحث من جلّ هذه الدراسات السابقة ؛ فلأصحابها وافر الشكر والتقدير؛ لأنها كانت بمثابة المفاتيح العميقة التي جعلت الباحث يلج إلى الدراسة من خلالها.

ثالثاً :أسباب اختيار الدراسة :

مما لاريب فيه أن أسباباً كثيرة كانت وراء اختيار هذا الموضوع، جعلت الباحث يفكر كثيراً، قبل أن يبدأ في تسجيله، ومن هذه الأسباب :

أولاً : الإشارة المهمة التي قدَّمها الدكتور طه حسين في مقدمة كتابه "جنة الشوك" وهي أن أدبنا العربي لم يحتفِ بهذا النوع، ولم يلتفت إليه الباحثون والدارسون، وقد دعا طه حسين شباب المبدعين والباحثين إلى الإهتمام بهذا الفن والكتابة فيه، والإضافة إليه.

ثانياً : تعد الإبيجراما نوعاً أدبياً قائماً بذاته، يحتاج إلى من يقدمه إلى الدرس النقدي العربي؛ لأنه ظاهرة جديدة في شعرنا العربي لم يحتفِ بها النقاد.

ثالثاً : سبر أغوار هذا النوع ومحاولة فك شفراته وغموضه، من خلال طرح قضاياه من حيث الشكل والمضمون.

رابعاً :صعوبات الدراسة :

تجلت صعوبات الدراسة منذ الوهلة الأولى للتفكير في موضوعها ، ومن هذه الصعوبات مايلي :

أولاً : تعد قصيدة الإبيجراما أرضاً جديدة بالنسبة للدرس النقدي، فلم يلتفت إليها الباحثون والدارسون بشكل عميق متسع.

ثانياً: ندرة الدراسات النظرية والتطبيقية حول فن الإبيجراما بصفة عامة ، وقصيدة الإبيجراما صفة خاصة .

ثالثاً : انغلاق قصيدة الإبيجراما على نفسها تارة، وتمردها الشديد تارات أخرى .

خامساً :منهج الدراسة :

جاءت هذه الدراسة في مقدمة وتمهيد وأربعة فصول وخاتمة، وقائمة بالمصادر والمراجع .

تناول المؤلف في المقدمة موضوع الدراسة، وأسباب اختيارها، وصعوبات الدراسة والدراسات السابقة، ومنهج الدراسة.

أما التمهيد:

فقد طرح المؤلف مفهوم الإبيجراما من حيث اللغة والاصطلاح ثم نشأة الإبيجراما في الآداب اليونانية، والأوروبية، والتأصيل الفني لقصيدة الإبيجراما في الشعر العربي الحديث، وأخيراً خصوصية النوع الأدبي للإبيجراما .

أما فصول الدراسة فقد جاء كل فصل مرتبطاً ارتباطاً قوياً بغيره، أو مكملاً له (إن جاز القول).

- **وقف المؤلف في الفصل الأول :**
- عند البنية اللغوية في قصيدة الإبيجراما، وطرح مهاداً بسيطاً عن البناء اللُغوي ثم البنية الإفرادية من خلال مفردات الزمن، والحزن، والموت هذه الحقول الدلالية الثلاثة التي اتكأ عليها شعراء الإبيجراما، ثم البنية التركيبية من خلال مبحثي (التقديم والتأخير)، والحذف .
- **وجاء الفصل الثاني بعنوان** : بناء الصورة الشعرية في قصيدة الإبيجراما ، ويضم محورين أساسين هما: مصادر الصورة الشعرية لدى شعراء الإبيجراما، وعناصر الصورة الشعرية مثل: الاستعارة، التشبيه ، الكناية .
- **وجاء الفصل الثالث بعنوان:** البنية التناصية في قصيدة الإبيجراما ، وطرح مفهوم التناص، ثم التناص الديني (القرآن الكريم ، الكتاب المقدس ، والحديث الشريف) والتناص الأسطوري ، والتناص الشعري .
- **أما الفصل الرابع فقد جاء بعنوان** : البنية الإيقاعية في قصيدة الإبيجراما وطرح الإيقاع الخارجي (الوزن)، والإيقاع الداخلي من خلال بنية التكرار والمقابلة، والإيقاع البصري، ثم القافية .

وأخيرا

جاءت خاتمة الدراسة؛ لتجمل ما توصل إليه الباحث من نتائج حول تساؤلاته المفترضة التي حاول جاهداً الإجابة عنها في فصول البحث .

وفي النهاية، يدين البحث - حتى تكتمل ثمرته - لمجموعة من الأصدقاء،والأحبة المخلصين الذين قلما اجتمعوا في أي زمن، يدين لهم البحث،والباحث بالفضل والعرفان والعون والمساندة والدور الجميل الذي لا أنساه في حياتي كلها؛ آملاً في أن يفي هذا البحث بعضاً من الإمتنان والتقدير، لما قاموا به من إسهامات شتى بمحاوراتهم ومناقشاتهم السديدة، ومن جانب آخر بتحفيزهم لصاحب البحث على إنجاز بحثه .

وعلى رأسهم أستاذي الأستاذ الدكتور يوسف نوفل العالم الكبير والأب الحنون العطوف فلم يبخل عليَّ بالنصح والتقويم؛ دافعاً بي لإنجاز بحثي، كما أدين له بديموقراطية البحث فلم يصادر ليّ رأياً مطلقاً، تركني أقول ما عندي؛ آملاً أن أكون قد قلت كل ما عندي نفعنا الله بعلمه فهو بحق رائد من رواد أمتنا العربية، ساهم إسهاماً عميقاً في تقويم الدرس النقدي وصاحب منهج نقدى يجمع بين الأصالة والمعاصرة، أمد الله في عمره ومنحه الصحة والعافية.

كما أدين بالشكر والتقدير لأستاذي الدكتور عصام بهي- رحمه الله- ، فقد شرفني بإشرافه على في الماجيستير والدكتوراه فقد كان أباً حنوناً عطوفاً حازماً مدققاً لكل شئ فجعني موته، واهتزت جوانحي فقد كان لي نبراساً وظلاً احتمي به وقلباً يسع الجميع علّمني كثيراً ونصحني وقوّمني، كان بمثابة أبي في هذه المدينة التي بلا قلب، فتح لي أبواباً كثيرة بيته ومكتبته وأبحاثه، له دين في عنقي لم يمهلني القدر كي أرد بعض دينه عليَّ أسكنه الله فسيح جناته ، وغفر له، ونفعنا بعلمه إلى يوم الدين، رحمه الله .

كما أتوجه بالشكر والتقدير إلى أستاذي الدكتور / محمد عبد المطلب، الناقد الكبير الذي منحني صبره وحكمته وهدوءه الذكي، فقد كان دائم التشجيع لي من خلال محاوراته ومناقشاته العلمية العظيمة. نفعنا الله بعلمه وأمد الله في عمره .

كما أتوجه بالشكر والتقدير إلى أستاذي الدكتور / محمد حسن عبد الله، فقد أفدت من مناقشاته وآرائه السديدة، وأبحاثه العلمية العميقة، نفعنا الله بعلمه وأمد الله في عمره.

كما أتوجه بالشكر والتقدير إلى أستاذي وشيخي الأستاذ الدكتور/ مصطفى رجب عميد كلية التربية الأسبق بسوهاج، فقد كان لي بمثابة الشيخ العالم الذي يفتح نافذته لنطل معه؛ لنرى وجه الحقيقة .

كما أتوجه بالشكر والتقدير إلى الأستاذ الدكتور / مصطفى الضبع، فقد كان مشجعاَ ليَّ على إنجاز بحثي، نفعنا الله بعلمه، فله وافر الشكر والتقدير.

وتأتي أسرتي وعلى رأسهم جدي المرحوم الحاج/ الصغير محمد عبد المولى . رحمه الله ، تركني وأنا في منتصف الطريق، كانت أقصى أمانيه أن يراني في هذا الموقف، فأقدم له بعض غرسه الذي تعب كثيراً كي يراه، رحمه الله، وأسكنه فسيح جناته، والشكر كل الشكر لوالدي الذي وقف بجانبي وقفةً لا أنساها طول عمري، فكان نعم الوالد الصبور الحكيم، لم يخذلني قط، جعلني أخاه الأصغر، تركني أنهل من منابع العلم، تعب وشقى من أجلي كثيراً ، كنت أبكي لتعبه، وأدعو الله أن يمنحني قدرة على رد جزءًا يسيرًا من عطائه الكبير فجزاه الله خير الجزاء .

وتأتي أمي التي كانت تشجعني كثيراً منحتني صبرًا لا حدود له وعطاءً زاخرًا لا نهاية لهُ، أمي رمز المحبة، شمس تقينا البرد، وخيمة نلتف تحتها، أمي امرأة تشق الأرض بيديها تغرس أعواد الياسمين لأجلنا، أمي مدينتي المقدسة عُمْرُها طريق نسير فيه .

وأخوتي جميعهم ، الحاج عمر - ردَّ الله غيبته - ، والسيد أعانه الله على الحياة بحلوها ومرها، وعدل أختي الوحيدة ببشاشتها وقلبها الحنون الذي يقطر محبة وتضحية وصلاح أخي الأصغر وفَّقه الله، فلهم الشكر جميعاً، وقفوا خلفي بثبات، على ألا أخيب آمالهم، وامنحهم ما ابتغوه مني.

وجزيل الشكر لأعمامي الفضلاء، الأستاذ عبد الحميد الصغير موجه اللغة العربية في الإسكندرية وعمي محمود الصغير، وعلي الصغير، بارك الله فيهم. وأخوالي جميعهم وأبناء عمومتي وأهل قريتي البائسة الفقيرة الأخيضر التابعة لمركز ومدينة المراغة بمحافظة سوهاج، لهم جميعا- ينتسب خير- هذا البحث ، وأتمنى ألا أكون – قد خيبت آمالهم بتقصيري، وعدم إعطاء البحث حقه،الذي لا يتناسب مع ما بذلوه من فضل وعطاء ..

وعلى الله قصد السبيل

وهو نعم المولى ونعم النصير

وا أحمد الصغير المراغي .

الهرم - الجيزة

٢٠٠٨/٧/٢٠